مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:06 العدد: 02 جـــــوان (2022) ص390/380

جماليات القناع في ديوان تغريبة جعفر الطيار للشاعر يوسف وغليسي

The aesthetics of the mask in the collection of Alienation by Jaafar al-Tayyar by the poet Youssef oueghlissi.

عبير حديبي *

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، مخبر التراث الأدبي الرسمي والهامشي كلية الآداب واللغات (الجزائر)

a.hadibi@univ-skikda.dz

د.عبد السلام جغدير

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، مخبر التراث الأدبي الرسمي والهامشي كلية الآداب واللغات (الجزائر)

a.djaghdir@univ-skikda.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/10/07
تاريخ القبول:
2021/12/05

الكلمات المفتاحية:
- ✓ جماليات
- ✓ قناع
- ✓ شعر
- ✓ يوسف وغليسي

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تمظهرات جماليات القناع في القصيدة العربية، والمتأمل لهذا المنجز الإبداعي يجد بأن لغة القصيدة تحولت من اللغة الخطابية المباشرة إلى اللغة الإيحائية الإبداعية، وقد اتخذت تقنية القناع مساحة واسعة في شعر المحدثين وذلك للخروج من دائرة المألوف وبالرجوع إلى ديوان تغريبة جعفر الطيار للشاعر يوسف وغليسي نجد تلك الطاقة الإيحائية التي تكتنزها القصائد.

Article info

Received
07/10/2021
Accepted
05/12/2021

Keywords:
- ✓ *Aesthetics*
- ✓ *Mask*
- ✓ *Poetry*
- ✓ *Youssef Oueghlissi*

Abstract :

This study seeks to reveal the manifestations of the aesthetics of the mask in the arabic poem, and whoever contemplates this creative achievement finds that the language of the poem has shifted from direct rhetorical language, and the mask technique has taken a wide space in the poetry of modernists in order to break out of the circle of familiar.

and return to Diwan The Alienation Of Jaafar al- Tayyar by the Poet Yousef Oueghlissi, we find that suggestive energy that the poems possess.

*المؤلف المرسل

. مقدمة:

يعد الشعر أرقى أنواع الكلام المعبر عن نوازع النفس والمترجم لأحاسيسها، وتجربة الشاعر المعاصر تجربة مميزة تحمل طاقة إبداعية وجمالية، جعلت القارئ يقف متعجبا لما تطرحه من نزعة تجديدية تحمل العديد من التأويلات، فقد حاول الشاعر الجزائري تصوير أبعاد الحياة المعاصرة في شعره من خلال تقنيات وسمت بنية وشكل القصيدة بلون جديد، ومن بين هؤلاء الشعراء نجد يوسف وغليسي الذي يعد من الشعراء الذين أسهموا في إثراء النص بفضل تجربته المتميزة وتحقيق الذات من خلال الآخر، لذلك اعتمد تقنية القناع كتجربة فنية أحدثت تفاعلا بين الشخصية المحورية وبين الآخر.

ويمكن اعتبار تقنية القناع مظهرا من مظاهر الحداثة في الشعر العربي المعاصر، وأداة رمزية يعبر بها الأدباء المعاصرون عن انشغالاتهم، فهو وسيلة يتخذها الشاعر للتعبير عن موقفه بنبرة موضوعية يتحقق فيها التفاعل بين الذات والموضوع، فكيف ساهمت هذه التقنية في إبراز جماليات القصيدة المعاصرة؟ وهل استطاع الشاعر تحقيق المعادل الموضوعي في تجربته الشعرية؟

2. ماهية المصطلح:

عرفت القصيدة العربية المعاصرة تطورا فنيا ملحوظا، وذلك باللجوء إلى تقنية تعبيرية جديدة عرفت بتوظيف القناع الشعري والتنويع في استخدامه من شاعر لآخر ومن نص لآخر، فما المقصود بهذا المصطلح؟

نشأ هذا المصطلح في أحضان المسرح التي كانت تمارس فيه الطقوس السحرية البدائية لتحقيق حالة التقمص فـ"القناع مصطلح مسرحي أساسا، لم يدخل عالم الشعر إلا مع بدايات هذا القرن، ليؤدي وظيفة جديدة تختلف نسبيا عن الوظيفة التي كان يؤديها في المجال المسرحي والطقوس البدائية" (الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، 2003، صفحة 66)فهو أداة التلبس يتقمصها الممثل لأداء شخصية خيالية أو حقيقية معينة لأغراض مختلفة مشبعة بالإيحاء والرمز بهدف التأثير في المتلقي ومع الاحتكاك المباشر بالثقافات الغربية ظهر هذا المصطلح في الشعر بشكل مكثف بسبب الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في العالم العربي.

فالقناع بالمفهوم الاصطلاحي "وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، أو هو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر شاع استخدامه منذ ستينات القرن العشرين بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة للتخفيف من حدة الغنائية و المباشرة في الشعر" (عزام، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، 2017، صفحة 13) فكل قناع عبارة عن نموذج يحمل رؤيا الشاعر، وهكذا يتداخل صوت الشاعر مع صوت الشخصية.

والقناع في الشعر العربي المعاصر يعد" وسيلة درامية للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة، وهو تقانة جديدة في الشعر الغنائي لخلق موقف درامي أو رمز فني يضفي على صوت الشاعر نبرة موضوعية من خلال شخصية من الشخصيات يستعيرها الشاعر من التراث أو من الواقع، ليتحدث من خلالها عن تجربة معاصرة بضمير المتكلم" (موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة ، 2003، صفحة 209) فنجد أن الشعراء المعاصرين يتفننون في توظيف القناع باعتماده كرمز يضفي على تجاربهم الشعرية الإبداعية سمة موضوعية بعيدة عن التدفق المباشر.

ويذهب إحسان عباس بتعريفه للقناع بأنه "يمثل القناع خلق أسطورة تاريخية- لا تاريخا حقيقيا- فهو من الناحية تعبير عن التضايق من التاريخ الحقيقي، بخلق بديل له (الأسطورة)، أو هو محاولة لخلق موقف درامي، بعيدا عن التحدث بضمير المتكلم، ولكن رقة الحاجز بين الأصل والقناع، تضع هذه الدرامية في أبسط حالاتها" (عباس، 1978، صفحة 122)فالقناع وسيلة يكشف عن درامية التجربة الشعرية بخلق بديل للواقع في موقف درامي مكثف بالغموض بعيدا عن ذاتية الشاعر (ضمير المتكلم) وبهذا تكون القصيدة تعبيرا فنيا تحمل صرخات الشاعر.

كما يرى علي عشري زايد أن القناع يفسر رغبة الشاعر فيقول "إن نزعة الشاعر المعاصر إلى إضفاء نوع من الموضوعية والدرامية على عاطفته الغنائية هي التي قادته إلى استعارة بعض خصائص الفنون الأخرى وتقنياتها... لذلك أصبح الشاعر في حاجة إلى رموز جديدة تكون قادرة على النهوض بهذه التجربة المعقدة، فلجأ إلى توظيف الشخصيات التراثية، وتوظيفها يعني استخدامها تعبيريا لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر" (الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، 2003، صفحة 91) فالشاعر المعاصر يحلق بفكره وثقافته في عالم التراث ليستلهم منه شخصيات ورموز أسطورية يختبئ وراءها ليعبر عن مواقفه وأراءه ويضع بينه وبين ذاتيه صوت الشخصية التي استحضرها كقناع في شعره.

أما جابر عصفور القناع فيرى بأن القناع" رمزا يتخذه الشاعر العربي المعاصر ليضفي على صورته نبرة موضوعية، شبه محايدة، تنأى به عن التدفق المباشر، وعندما يتخذ الشاعر القناع، فإنه يذوب فيه، ويتوازى في أعماقه، معتمدا عملية تفاعلية بينه وبين الشخصية تؤدي إلى صهر مكونات التجربة، وتوحّد بين المستعار والمستعار له" (الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، 2003، صفحة 184.183) فتقمص الشاعر شخصيات ورموز تؤهله للتعبير بحرية عن أفكاره وأراءه دون الوقوع في متاهة النقد والمساءلة القانونية، فيخيل للمتلقي أنه لا يسمع سوى صوت الشخصية التي تقمصها.

3. القناع حيلة الشاعر في بحر الشعر

كان اللجوء إلى القناع بدافع التجديد والتعبير عن الظروف السياسية والاجتماعية بطريقة غير مباشرة، حيث استلهم الشاعر العربي من موسوعة الفكر الغربي وهذا ما صرح به علي عشري زايد بقوله: " كان تأثر شعرائنا الجدد إذن بدعوة إليوت هذه عاملا من العوامل البارزة التي دفعتهم إلى الارتباط الوثيق بتراثهم" (زايد، 1997، صفحة 32) فالحديث عن القناع في الشعر العربي جاء متأخرا ومتأثرا بالأفكار والمبادئ التي سادت في الأدب الغربي، ولاسيما فكرة المعادل الموضوعي لـ "ت.س إليوت" "T.S.Eliot" وقد وظف الشاعر العربي هذه التقنية في مختلف قصائده ليتحد صوته بصوت الأقنعة والشخصيات الموظفة في النصوص الشعرية، فـ إليوت من الشعراء الغرب الذين أثروا قصائدهم بالأقنعة، فأخرجها من الغنائية المباشرة إلى الدرامية المكثفة.

ونجد معظم الشعراء العرب قد استحدثوا مصطلح القناع من النقد الغربي متأثرين بفكر "إليوت" الذي اعتبر الشخصية في القصيدة معادلا موضوعيا للشاعر، وهي الطريقة الوحيدة التي تعبر عن العاطفة الذاتية بأسلوب فني "والصلة بين الشاعر وقناعه رقيقة، والحاجز بينهما شفاف، صحيح أنهما وجهان، ولكن أحدهما فوق الآخر، والظاهر منهما وسيلة للتعبير عن المضمر والداخل، وصحيح أنهما صوتان، ولكنهما متناغمان متآلفان في سمفونية واحدة وعمل واحد" (موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، 2003، صفحة 210) فاللجوء إلى تقنية القناع هدفه التغيير الفني في متن النصوص الشعرية والإفصاح عن مكنونات الشعراء، والتخفي وراء أقنعة مختلفة سواء كانت تاريخية أو أدبية أو أسطورية، ويمكن القول أنها ضرورة حتمية أكثر من كونها فنية خوفا من المساءلة القانونية التي أخرست الشعب.

اختلف الشعراء في استخدام القناع في الشعر العربي المعاصر بين الجزئي والكلي والمتوازي والمتعارض حيث "يجيء استلهام القناع في شعر الحداثة في استخدامين متعارضين: استخدام متواز واستخدام متعارض، ويهيمن الاستخدام الأول على تقانة القناع في الشعر العربي المعاصر، فيستخدم الشاعر الحديث القديم أو لمحات منه للتعبير عن حالة معاصرة مماثلة، وهذا ما فعله أمل دنقل -مثلا- في قصيدته "لا تصالح" و"مراثي اليمامة" في رفض الصلح المعاصر، فكانت شخصية كليب وأقوال اليمامة وسيلتين للتعبير عن ذلك" (موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، 2003، صفحة 213.212) في حين نجد من الشعراء من يلجا للاستخدام المتعارض "فهو أقل من الأول، فيستخدم الشاعر فيه القناع استخداما متعارضا لما هو معروف عنه، فيحور في طبيعة الحدث القديم ويضيف إليه، ومنه –مثلا- قناع السندباد في قصيدة "رحل النهار" فهو –هنا- يخفق في هذه الرحلة على

غير عادته، للتعبير عن تمكن المرض في حياة السياب وتجربته الشخصية" (موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، 2003، صفحة 213) وهذا النوع نجده في بعض قصائد السياب حيث استخدم القناع متعارضا لما هو مألوف.

"ويجيء استدعاء القناع حين يتلبّس القناع الشاعر، فلا يظهر صوته ولا شخصيته ولا ملامح تجربته، وتهيمن الشخصية التي تقنع بها، وهذا كثير في شعر الرواد، وبخاصة في شعر البياتي وأدونيس " (موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، 2003، صفحة 212) فاستلهام القناع كوسيلة درامية يعد حالة فنية جديدة في الشعر المعاصر، حيث يتلبس الشاعر قناعا كي لا تطغى ذاتيه في تجربته الإبداعية وبذلك يبتعد عن حدود الرومانسية والغنائية.

وقصيدة القناع لم تولد من العدم كما توهمها البعض بل لها جذور في تراثنا العربي ومؤثرات غربية بفعل الاحتكاك بثقافتهم "وعندما يعود الشاعر المعاصر إلى تراثه القومي، أو إلى التراث الإنساني، ليوظف بعض شخصياته نماذج فنية. فإنه يعود- بذلك- إلى الينابيع، إلى مهد الطفولة البشرية في عهودها الأولى، فيشبع رغبة الحنين إلى عصور الفطرة والبراءة، وكأنما يطّهر نفسه من ملوثات العصر... فيبتعد عن الغنائية الذاتية، ويمد القصيدة بطاقات فنية جديدة... ومن ثم فإن الشاعر المعاصر عندما يتحدث من خلف قناعها، فإنه يتحدث عن معاناته وتجربته التي تشبه معاناة الشخصية التراثية وتجربتها" (عزام، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، 2017، صفحة 16) فالشاعر المعاصر يلجأ لتوظيف شخصيات دينية تاريخية أسطورية للتعبير عن الوضع الراهن والصراع السياسي الذي ساد الوطن العربي، ومن هنا نستشف أن الشاعر يسلط الضوء على الشخصيات التي تحمل نفس همومه وتجاربه الإنسانية وبذلك يخرج من ذاتيه إلى التجربة القومية والإنسانية.

ولا أحد من الدارسين ينكر "أن الشعر تجربة روحية وجمالية عميقة تتصل بأعمق مكونات الأمة ومشاعرها، وتستخدم من اللغة أقرب ألفاظها وكلماتها إلى الحس، وأكثرها قدرة على الترميز والإشعاع بهذه المكونات وهذه النظرة لا تختلف- في اعتقادنا- عن النظرة التي ترى في الأسطورة شكلا من أشكال التعبير العذري عن التجربة الإنسانية في مغامرتها الأولى مع الطبيعة والحياة" (بلحاج، 2004، صفحة 32) فالشعر له صلة وطيدة بالأسطورة لاتصالهما بالتجربة الإنسانية، وعودة الشاعر لاستخدام الأسطورة عن طريق تقنية القناع ما هو إلا عودة حقيقية إلى منابع الحضارة الإنسانية فيجردها من قداستها ويوظفها للتعبير عن حالته الشعورية بأفكار رمزية جمالية "فالشعر مغامرة محسوبة، يحاول فيها الشاعر أن يحدد طرائقه التعبيرية وأساليبه في التخيل وبناء عالم القصيدة وتظل المغامرة في الشعر مأمونة العواقب إذا اتسمت بقدر من المنطق الفني يجعلها في إطار المقبول والمعقول" (السيد، 1996، صفحة 127) وهذا ما يجل المتلقي يحمل مسؤولية الارتقاء للقراءة الصحيحة أثناء فك شفرات النصوص الشعرية المشبعة بالغموض والانزياح اللغوي.

4. فنيات توظيف القناع في التغريبة

تعددت أساليب توظيف تقنية القناع في النصوص الشعرية المعاصرة من شاعر لآخر، فقد يعتمد الشاعر على توظيف شخصية واحدة داخل المتن الشعري دون اللجوء إلى شخصيات أخرى، وإن وجدت رموز وشخصيات في العمل الأدبي فإنها تعد شخصيات مساعدة لضرورة التوظيف ولذلك اخترنا ديوان تغريبة جعفر الطيار للشاعر يوسف وغليسي الذي يعد في مضمونه منطلقا حاسما وتحولا جذريا في رؤية الشاعر" فقد طعم خطابه الشعري بثروة معرفية لها ما يبررها في الجانب النقدي، حيث يلحظ المتلقي للوهلة الأولى تلك الكثافة الرمزية التي تستحوذ على جل خطابه الشعري، وقد أخذت امتدادها من التراث العربي الإسلامي، وبخاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف" (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 08)

"ففي نص "تغريبة جعفر الطيار" الذي أتى على شكل دراما شعرية في مشهدين، نلحظ ملامح تجربة جديدة في الكتابة لدى الشاعر الذي حقق قفزة نوعية في طريقة التشكيل، ووفق في التعبير عن رؤيته الشعرية" (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 10.09)

لذلك سنحاول في هذا البحث الوقوف عند بنية النص الشعري بهدمه من بنيه الأولى وإعادة بنائه بقراءتنا الخاصة لاستيعاب مهارة توظيف تقنية القناع بمختلف الأساليب التي اعتمدها يوسف وغليسي في تغريبته.

1.4 القناع البسيط:

يقوم المبدع في هذا النمط بالاعتماد على "شخصية واحدة مفردة يسقط عليها تجربته المعاصرة بكل همومها هواجسها بعد أن عاش تلك الشخصية... فتشربها وهضم مكوناتها، وتمثل عصرها وظروفها وملابساتها" (الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، 2003، صفحة 180) وهو بذلك يترك بصمة فنية ويضفي عليها ظروفه النفسية والاجتماعية ويجعل تلك الشخصية محور العمل الأدبي لتقوم التجربة الشعرية عليها

ومن أبرز نماذج هذا النمط ما قاله الشاعر في قصيدته الموسومة بـ: تجليات نبي سقط من الموت سهوا:

"يَسْأَلُونَكَ عَنّي..
قُلْ إِنّي مَا قَتلُوني، ومَا صَلبوني، ولكِن
سَقَطت مِن المَوْتِ سَهْوًا..
رفعت إِلَى حَضرَة الخُلدِ..
إِنّي تَلاشَيت سَكرَان
إِنّي تَشظَّيت فِي وَهجِ الوَجد..
غَيبت في آبِد الآبِدينَ" (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 31)

فالشاعر اتخذ شخصية المسيح رمزا للإنسان المصلوب القادر على الإتيان بالمعجزة، وجعله قناعا له في قصيدته، ليتحدث من خلال هذه الشخصية بضمير المتكلم، فقد استخدم رمز الصلب للتعبير عن الظروف التي يعاني منها الشعب وكأنه يقول بأن هذا الشعب لن يسقط وسينتصر كما انتصر السيد المسيح، وبذلك نستنتج أن الشاعر قد استعار ثلاثة ملامح من قصة المسيح وهي: الصلب والفداء والحياة والانبعاث.

ولعل تعدد الأصوات في المتون الشعرية يعطي بعدا حداثيا، وذلك عن طريق التضاد والتناقضات ليعبر الشاعر بقناع بسيط عن تجربته الشعرية والشعورية.

2.4 القناع المركب:

يعتمد المبدع في هذا النمط على شخصيات وأقنعة مختلفة تتداخل أصواتها لتكون العقدة الأساسية للقصيدة حيث يقوم التوظيف فيه " على تمازج عدد من الشخصيات والرموز وتداخل أصواتها وتشابكها ... إذ يغلف المبدع قناعه بأغلفة إضافية بتسخير شخصيات أخرى يسند لها أدوار محددة وينسج عن طريقها حبكات فرعية تصب جميعا في العقدة الرئيسية للنص" (الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، 2003، صفحة 181.180) فهذا القناع يعمل على تماسك التجربة الشعرية دون إقصاء لأي شخصية، وإذا قام بإقصاء شخصية معينة ينهار القناع ويتصدع التفاعل داخل التجربة الشعرية، ومن النماذج على هذا النمط ما جاء في قصيدة تغريبة جعفر الطيار-دراما شعرية قصيرة من مشهدين- حيث تتألف هذه القصيدة من مشهدين تتداخل فيها الأفكار والأصوات بين شخصية النشاجي وجعفر.

يقول الشاعر في المشهد الأول:

"النَّشَاجي:
مَنْ أنْتَ يَا هَذا المُسَربل بالشُّكُوك؟
جعفر:

أنَا جَعفر الطيَّار جِئْت مَع
الرّياح عَلى جَناحِ الرُّعب
يا مَلك الملوكْ
النشاجي:
مِن أينَ جِئت؟ ومَا تُريد؟
جعفر:
إنّي أَتَيْتُكَ مِن بلَاد النَّار
مِن وَطن الحَدِيد
شَيعت أَحْلَامِي وأَحْبَابي.. صِباي
وكُل مَا مَلك الفُؤاد.. وجِئت كالطيرِ
المُهاجِر أبْتغِي وطَنا جَدِيد" (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 34.33)

استطاع الشاعر أن يكثف القصيدة بتقنية القناع المركب من عدة شخصيات، وذلك من خلال الحوار الذي دار بين النشاجي وجعفر، حيث استدعى الشاعر الشخصيات التراثية وتقمص شخصية جعفر بن أبي طالب والنشاجي ملك الحبشة، فبعد قراءة الحوار قراءة دلالية يتضح لنا أن ذاتية الشاعر يوسف وغليسي حاضرة في القصيدة، وما هي إلا ذات إنسان عانى من الهموم فأصبح غريبا في وطنه مما أدى إلى طلب الأمان محلقا كالطير المهاجر الذي يبحث عن وطن جديد، فقد كان اللجوء موضوع القصيدة يعبر الشاعر عن الظلم المسلط عليه في بلاده.

3.4 القناع المخترع:

يتجاوز المبدع في هذا النمط الشخصيات بأنواعها أسطورية تاريخية دينية تراثية " مبدعا رموزه وشخصياته الخاصة ويصطحبها في أعماله الشعرية متخذا منها أقنعة فنية أحيانا يعبر من خلالها عما يريد فيقيم معها تفاعلا من نوع خاص تكون نتيجته شعرية جديدة خالية من أغلب الترسبات الفكرية والمواضعات التاريخية والأسطورية" (الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، 2003، صفحة 180) وبذلك تتسع دائرة التأويل ويسطع أفق التوقع في النص بمخالفة توقعات القراء.

فقد جاء في قصيدة يسألونك هذا المقطع الذي يحمل أكثر من نبرة للشاعر:

"يَسْألُونَكَ عَنْ شَاعِر مُثْقَل بالحَنينْ
يسْألُونَك عَن مُغرَم يَبتغِي شَبق الرُّوح
في جَسَد امْرأة مِن مِياه وَطْين
يسْألُونَك عَن عَاشِق خَائب
أنْكَرته نِسَا العَالمِين
يَسْألُونَك عَن فَائضِ المَاء في البَحْر
عَن ظَمأ الشّط للمَاء.." (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 56)

عند قراءة عنوان القصيدة يتبادر إلى أذهاننا بأنه موجه للمتلقي لكن عند ولوج ثنايا النص يتضح لنا بأن الشاعر يتحدث عن نفسه فهو الشخصية المحورية في القصيدة، وكأنه يمتلك ألوان المعرفة والحكمة وهذا ما نجده في نهاية القصيدة فالشاعر يسعى إلى البحث عن ذاته ومعنى وجود يقول في تغريبته:

" يَسْأَلُونَك.. قُل إنِني نَخْلة
تَتحَدَّى الرِياح وَقيظ السّنِينْ " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 57)

5. تجليات القناع في التغريبة

1.5القناع الأسطوري:

تعد الأسطورة ذلك العالم الخيالي القائم على التفسير و التأويل والانفتاح على مختلف الثقافات والمتأمل في الشعر يجد بأن هناك ارتباط وثيق بين الشاعر والأسطورة، فكثيرا ما يربط النقاد بين الشعر والأسطورة لما يجمعهما من عوامل مشتركة كالخارق والغامض والسحري والجذور الأسطورية للغة، لكن فيما بعد تعددت طرق توظيف الأسطورة في النصوص الشعرية العربية المعاصرة عكس النصوص الجزائرية فلم تكن الأسطورة ظاهرة بارزة فيها، حيث كان الشعر الجزائري يتعامل مع الأسطورة تعاملا سطحيا وباهتا لم يلامس العمق الجوهري لكينونتها، فالأسطورة ليست بحاجة إلى موضع معين بل إنها تذوب داخل النص الشعري في اللغة وكأنها جزء منها، وقد وظف يوسف وغليسي في قصيدته تجليات نبي سقط من الموت سهوا:

" أنَا حَلَّاق كُل مُلوك بِلادي
سَأفضَحكم في الرّمَال..
سَأزرع أسْرَاركم في التُّرب
قَصب الريح يَنمُو عَلى شط أسْرَارِهم
مُثْقلا بالفَظائِعْ " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 24)

فالشاعر وظف قناع أسطوري متمثلا في أسطورة حلاق الملك، وهي أسطورة قديمة تروي بأن هناك ملكا كان له أذني حمار لم يجد شخصا يثق فيه من أجل أن يحلق له شعره إلى أن عثر على حلاق بسيط من عامة الناس، ولكنه هدده بالقتل إن أفشى سره، وبقي ذلك الحلاق يحفظ السر خوفا من الملك لكن مع مرور الأيام ثقل صدره بسر الملك فقام بحفر حفرة وباح لها بسره.. مرت الأيام ونما قصب في تلك الأرض وكلما هبت الرياح خرج صوت من تلك الحفرة مفاده أن الملك له أذني حمار.

فالشاعر حاول من خلال هذه الأسطورة التعبير عن الحكام الظالمين بقناع أسطورة حلاق الملك وبأنه سيأتي يوم وستفضح أعمالهم المشبوهة.

كما نجد توظيف أسطوري آخر تمثل في أسطورة العنقاء، فقد وظف الشاعر تقنية القناع من خلال يوسف علامات إيحائية يقول يوسف وغليسي في قصيدته:

" أَنا ذُو الجَناحِ، كَما سَتعلم سَيّدي
اللَّيلُ عَمَّر مَوطني
والبردُ لفَّ جَوانِحِي
وأنَا هُنالك في الضُّحى
مُتثبّت بالنُّور.. بالشَّمسِ المصَادر دِفؤُها " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 34)

فالشاعر أضحى لاجئا في وطنه مثقلا بالهموم، لذلك توسعت دائرة التقنع في القصيدة وبدا جليا فيها استلهام أسطورة العنقاء التي ترمز إلى الاحتراق والموت ثم الانبعاث من رمادها طائر جديد، فطائر العنقاء يبسط جناحيه ليحجب ضوء الشمس، وهنا نرى بأن الشاعر فاقد لنور الأمل بمستقبل زاهر، فقد أصبح يعيش حياة المعاناة بسبب الصراع بين السلطة والمتطرفين.

2.5 القناع الديني:

اعتمد يوسف وغليسي على القناع الديني في مجموعته الشعرية، وذلك من خلال توظيف شخصيات دينية معروفة في الإسلام فهناك شخصيات صرح بها وأخرى وظف قصصها المشهورة يقول الشاعر:

" ألْجَأ الآنَ وَحدِي إلى الغَار

لا أَهْل.. لَا صحب.. إلا الحَمَامة والعنكَبوتْ

غُربتي الدّيَار التي لا أُحِب ديارًا سِواهَا " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 29)

فالرسول الكريم لجأ إلى غار حراء خوفا على الرسالة المحمدية، لأن الموت لاحقه وقد وظف الشاعر قناع العنكبوت والحمامة للتعبير بأسلوب غير مباشر عن قصة الرسول الكريم، وهنا دلالة على الوحدة والغربة التي يعاني منا الشاعر، كما أنه تقنع بشخصية المسيح عليه السلام متقمصا تجربته الإنسانية للتعبير عن ألامه متأثرا بشخصيات الأنبياء لأنهم أكثر صدقا وتحملا للألم في تبليغ رسالة نبيلة يقول الشاعر:

"تتخَطفُني وَمضَة مِن سَدِيم السَّمَوات

تجْذِبُني نَحْوها قَمَرا يَتَدلَّى علَى شُرفَة الكَون

يَتفَطر الكَون.. يعلق للأَرض أنّي (عِيسَى

ابن مَريم) أَسري بِي مِن (سَدوم) الخَطايَا

إلى سِدْرَة الصَّالحِين" (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 17.16)

كما لجأ الشاعر إلى توظيف قناع ديني آخر يعبر به عن معاناته، حيث استدعى شخصية النبي يوسف عليه السلام وحقق القناع امتزاج بين الشخصية والشاعر من خلال الحالة النفسية المشتركة وهذا التجاوب مع الشاعر مرده الضمني ثراء شخصية يوسف عليه السلام دلاليا، فهي الأقرب لتجربة الشاعر المعاصرة وقربها من معاناته كمعادل موضوعي لتجربته الشعرية يقول:

" كُنتُ في الجُبّ وَحْدِي

عَلى حَافَّةِ الموتِ أَهذِي

فَيرتَد صَوتِي إلي

أطارِح بَيني.. أغَالب حُزنِي

فيَغلِبني الدَّمع.. يجْرِفُني في خَرَاب المَدى

كنتُ وحْدِي طَرِيح النَّوى مِثل غُصن حَقيرْ " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 19.18)

فالشاعر وظف رمز يوسف عليه السلام ليعبر عن خيانة إخوته له حين رموه في الجب وتركوه هناك يصارع الموت.

وفي السياق ذاته يستحضر يوسف وغليسي شخصية النبي يعقوب عليه السلام ليجسد همومه إزاء الأحداث المعاصرة التي شهدها وطنه، ويمكن القول أن حيرة الشاعر هنا منفتحة على عدة قراءات فيمكن اعتبارها معاناة قومية وأخرى شخصية أم منهما معا

" قالت الريح:

"يَعقوب" مَات، فَأي فُؤاد سَيرحم هَذا الفَتى؟

أيُّ عَين سَتبيض حُزنا عَلَيه غداة تَرى مَا أرى؟

من يُعيد لَها البصَرا؟

مَن ترَى يسْتعِيد رُؤاه؟

مَن يُفسّر تِلك الكَواكِب.. تلك الطَّلاسِم..

من يَذكُر الشَّمسَ والقَمَرا؟" (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 20.19)

استثمر يوسف وغليسي قصة النبي صالح عليه السلام ووظفها في ثنايا نصه الشعري في مقطعين قائلا في تغريبته:

" حُلمِي الأَزلِي احتراف النُّبوة،،

مُنذ عَقَروا "نَاقة صَالح"،، مذ شَرَّدوا "صَالحا"

أشهَروا في وُجُوه اليَتامَى سُيوف البُطولَة " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 17)

فالشاعر هنا استدعى مضمون القصة القرآنية لتشابه المواقف بين ثمود الجديدة –الجزائر- في العشرية السوداء وما أصاب ثمود من خسف وهلاك وذلك للتعبير عن أفكاره وقضايا وطنه المعاصرة، يقول الشاعر:

" يَسأَلونَك عَن "صَالح".. عن "ثمُود" الجَديدة..

عَن "نَاقة الله" يعقرها سَيد الجَاهِلين

يسْألُونك.. كَم يسْألُونك يَا صَاحِبي..

يَسألُونك.. قُل إنّني نَخلَة

تَتحدَّى الريَاح وَقِيظ السّنِين " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 57)

لنأتي إلى قناع آخر استلهمه من الجانب الديني ألا وهو رمزية النبي يونس عليه السلام، فقد اختار الشاعر هذا النبي للدلالة على الصبر، فقد صبر لسنين عديدة في بطن الحوت يقول في قصيدته:

" كُنت وَحْدِي أسَاهم.. وحْدِي أرد الأَعادي

وحِين ترديت، كَان لِي الحُوت مَنفى ومَقبرة..

كُنت في بَطنِه غَارقًا في التَّسابِيح

سَبحت باسْم دَم الشُّهدَاء

بِاسم مَا في دَمي من هَوى لِتُراب بِلَادي

للرملِ والنَّخلِ،، سَبَّحت.. سَبَّحت.." (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 22.21)

فالضغوطات السياسية والصراع الذي ساد في العشرية السوداء جعلته يعيش وكأنه في قبر، ولا حل للشاعر إلا الصبر، لذلك تقنع بشخصية النبي يونس الذي صبر طويلا في بطن الحوت يقول الشاعر وغليسي:

" وحِين ترَديت، كان لي الحُوت مَنفى ومَقبرة..
كُنت في بَطنه غَارقَا في التَّسَابيح
سَبحت باسْم دَم الشُّهَداء
بِاسم مَا في دَمي مِن هُوى لِترابِ بِلَادي " (وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، 2000، صفحة 22)

والمتأمل لهذه الشخصيات الدينية يجدها تدل على الغربة والضياع والمجهول والمنفى، وكل هذه الدلالات تجسدت في ذات الشاعر، حيث وظفها بطريقة فنية استطاع أن يصور مدى الحزن الذي يعيشه اتجاه واقع وطنه.

تعامل الشاعر يوسف وغليسي مع الشخصيات الدينية تعاملا واضحا، حيث تعالقت نصوصه الشعرية مع الأحداث الدينية التي جاءت في القرآن الكريم، فاستلهم منه صورا ومواقفا للتعبير عن مقاصد تجربته الشعرية، فكانت تلك الأقنعة صورا ناطقة بما كان يعانيه من غربة روحية وانكسارات نفسية.

6.خاتمة:

عرف الشعر العربي المعاصر تحولا ملحوظا في ماهية الكتابة حيث جاءت تقنية القناع تماشيا مع ظروف الشاعر المعاصر تلبية لحاجة فنية اقتضتها تجربته الإبداعية التي تتميز بالتعقيد والدرامية، وبالاستناد على ما تقدم خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج:

-القناع وسيلة درامية هامة ساهمت في تشكيل بنية القصيدة المعاصرة وعملت على التخفيف من حدة الغنائية والابتعاد عن التعبير المباشر.

-استفاد الشاعر يوسف وغليسي من آليات متعددة لتقنية القناع من خلال توظيفه لشخصيات دينية وأسطورية وتاريخية.

-تطويع التجربة الشعرية بدلالات جديدة تناسب الشخصيات التي وظفها، فشاعر قصيدة القناع مثقف يجول في التاريخ القديم ويستلهم من الأساطير والتراث للبحث عن متكأ يحمل أفكاره.

-رسالة الشاعر غير مباشرة للقارئ، فقد اعتمد وسيط متمثل في القناع الذي يمثل محور القصيدة وهذا ما يفتح أما القارئ مجالات للتأويل والقراءات المتعددة.

- توظيف الشخصيات الدينية خدمت المعنى الشعري وأثرت دلالاته وزادته ثقلا فنيا وجماليا.

7.قائمة المراجع:

المؤلفات:

-إحسان عباس. (1978). *اتجاهات الشعر العربي المعاصر*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

- خليل موسى. (2003). *بنية القصيدة العربية المعاصرة* . دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

- علاء الدين رمضان السيد. (1996). *ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث*. دمشق، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- علي عشيري زايد. (1997). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.

- كاملي بلحاج. (2004). *أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول)*. دمشق، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- محمد عزام. (2017). *قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر*. سوريا: دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع،دار ومؤسسة رسلان.
- محمد علي الكندي. (2003). *الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث*. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- يوسف وغليسي. (2000). *تغريبة جعفر الطيار*. الجزائر: منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين.